قراءة للكتب الفائزة بجوائز الملتقى العربى لناشرى كتب الأطفال الدورة الثالثة ٢٠١٦

أ. يعقوب الشارونى
رائد أدب الأطفال

أصبحت جائزة الملتقى العربى لناشرى كتب الأطفال من أهم الجوائز التى تحفز ناشرى كتب الأطفال على المستوى العربى، للارتقاء بالإنتاج الإبداعى فى مجالات نشر كتاب الطفل، وتقديم أعمال متميزة من حيث المحتوى (نص ورسوم)، ومن حيث الإخراج، تسهم فى تنمية عقل الطفل العربى، مع مواكبة التطور التقنى، وهو ما يعمل على الترغيب فى المطالعة والتشجيع على القراءة.

ونقدم هنا قراءة نقدية للكتب الفائزة بجائزة الملتقى لأفضل كتب للطفل فى دورتها الثالثة ٢٠١٦ وهى ثلاث جوائز لثلاث مراحل : مرحلة الطفولة ما قبل ٦ سنوات، ومرحلة الطفولة الوسطى من ٦ سنوات إلى ١١ سنة، ومرحلة اليافعين من ١٢ إلى ١٦ سنة.

كتاب "أطفئ الأنوار"

نص : ميثاء الخياط

رسوم : جوستافو إمار

الناشر : دار كلمات الإمارات

فاز هذا الكتاب بجائزة "أفضل كتاب لمرحلة الطفولة ما قبل ست سنوات"، وهى المرحلة المتفق على أن نُطلق عليها مرحلة ما قبل المدرسة أو مرحلة الروضة، من عمر ثلاث أو أربع سنوات إلى ما قبل الالتحاق بالسنة الأولى الابتدائية، وهذه مرحلة نعانى فى العالم العربى من نقص شديد فى الكتب الموجهة إليها.

موضوع القصة مثالى لهذه المرحلة : الطفل الذى لا يشعر بالنعاس، ويرفض النوم لأنه لم يَنْتَهِ من اللعب مع أصدقائه من الحيوانات الصغار، فيتسلل من سريره ويذهب إلى الإسطبل ليستأنف اللعب مع أصدقائه. وهذا سلوك نقابله كثيرًا أو ما يشبهه بين أطفال هذا العمر، كما أن الشغف بالحيوانات الصغيرة أحد أهم سمات هذا العمر.

فى هذه المرحلة يكتسب الطفل كثيرًا من الألفاظ الجديدة، ويتعرف على تعبيرات جديدة، لذلك تتميز النصوص الموجهة إلى هذا العمر بالتكرار.. تكرار الألفاظ والعبارات بل المواقف أيضًا.

وفى نص "أطفئ الأنوار"، نجد الطفل عمر يسأل : "عذرًا أيها / أيتها... أيمكننى اللعب مع..."، ويوجه نفس السؤال إلى الجمل والحصان والبقرة والنعجة والبطة والدجاجة. وفى كل مرة نسمع إجابات متشابهة "أنا آسف / آسفة عزيزى، لكن صغيرى... نائم. أطفئ الأنوار من فضلك"، وصغيرى هذا قد يكون : الحُوار / المهر / العِجْل / الحمل / الفراخ الصغيرة / الصيصان.

يقول النص : "حسنًا.. قال عمر وهو يتراجع إلى الخلف وهو يُبعد المصباح عنها، وهو يتنهد، وهو يفرك عينيه، وهو يتثاءب وقد بدأ يشعر بالنعاس". وهذا تكرار فى المواقف، وفى الألفاظ والعبارات، يساعد الطفل فى هذا العمر على اكتساب كلمات وعبارات جديدة.

لكن قد يثور سؤال : هل من المناسب فى هذا العمر الصغير، أن نَستخدم القصة لتعريف الطفل بأسماء صغار كل هذه الحيوانات وعلى نحو خاص الأسماء غير المتداولة فى الحديث اليومى والتى لم يسبق للطفل سماعها مثل : حُوار والمهر والحَمَل؟ وأيضًا لتعريف الطفل بأسماء أصوات كل هذه الحيوانات، وكلها أسماء غير متداولة فى الحديث اليومى؟ نعرت (الناقة) - صهلت (الفرس) - خارت (البقرة) - ثغت (النعجة) - بطبطت (البطة) - قرقرت (الدجاجة) - هذا سؤال معلق قد تختلف حوله الإجابات.

لكن لابد أن نُشِيد بأن الكتاب حرص على أن يُبرز ضمن الرسوم، نفس أصوات الحيوانات والطيور : عااا عااا (الجمل) - مومو .. مومو (البقرة) - ماااء (النعجة) - واااك (البطة) - بق بق بق (الدجاجة) - وهذا أمر يحبه كل أطفال هذه المرحلة، وينطقونه ويكررونه ابتداء من السنة الثانية من عمرهم.

كذلك حرص الرسام أن يقدم الرسوم فى لقطات معظمها متوسطة ١١ لقطة، أو لقطات مكبرة أو مُقَرَّبةَ ٤ مرات، وهذه أفضل اللقطات التى يُقْبل عليها أطفال هذا العمر، لأنها سهلة الفهم واضحة، وإذا كان الرسام قد قدم لوحة عامة (بانورامية) واحدة فى أول صفحتين من القصة، نرى فيها كل شىء فى المزرعة، فقد كان من الممكن الاكتفاء برسم مكبر للحيوانات تلتقط الحب من كف عمر. لكن من المزايا المهمة لهذا الكتاب، حرص الرسام فى كل الصفحات الأخرى، على تفادى تقديم مثل هذه اللقطات العامة، لكى لا يشتت اهتمام طفل ما قبل السادسة ولا يُغرقه فى كثير من التفاصيل.

كذلك حرص النص على استخدام الجمل القصيرة فى معظم مواقف القصة. وهذه إحدى الخصائص المهمة للنصوص المقدمة لهذه المرحلة، وذلك لتفادى تقديم الضمائر وحروف العطف التى تجعل الجمل طويلة معقدة وصعبة الفهم بالنسبة لهذا العمر.

كذلك حرص النص فى معظم الأحيان على استخدام كلمات من المحصول اللغوى لطفل ما قبل المدرسة، مثل : فطورك (ولم يقل إفطارك) - نعسان - البطانية - تَمَدَّدَ (على سريره).

إن الكتابة والرسم لعمر ما قبل المدرسة من أصعب أنواع الرسم والكتابة للأطفال، لما تتطلبه من الالتزام بكثير من الخصائص لكى يصبح الكتاب مشوقًا جذابًا، مفهومًا وواضحًا. وقد نجح كتاب "أطفئ الأنوار" فى مراعاة هذه الخصائص الأساسية المهمة، فاستحق بجدارة أن يفوز بجائزة الملتقى.

كتاب "ورقة الحياة"

تأليف : أميرة المرزوقى

رسوم : أحمد سليمان

الناشر : دار العالم العربى للنشر والتوزيع

وقد فاز هذا الكتاب بجائزة الملتقى لأفضل كتاب لفئة الطفولة الوسطى، وهذا الكتاب كل ما فيه إبداع وتجديد.. النص مبتكر، يحكى عن ورقة شجر، وكيف التقطتها يد فتاة صغيرة لتجعل منها علامة بين صفحات كراس يومياتها، وأن هذه الورقة استمدت من عواطف الصغيرة وصدقها فى التعبير ومشاعرها الطيبة، حياة حفظت عليها ليونتها واخضرارها وحياتها.

ثم كيف نقلتها الصغيرة لتعيش بين صفحات كتب قصصية وموسوعات، وكلما قرأ القراء تلك الكتب أو بحثوا فى تلك الموسوعات، وجدوا الورقة نفسها تتحول من مجرد ورقة شجر إلى نبتة تنمو لها جذور وأغصان، فوضعها أهل البيت على مائدة وسط البيت تنمو كلما قرءوا حولها، إلى أن أصبحت شجرة نقلوها إلى الحديقة، مع دعوة كل الأهل والأصحاب للقراءة فى ظلها، وكلما زاد القُرَّاء حولها ازداد نموها، إلى أن ظَلَّلَت طرقات المدينة وشوارعها التى تحولت إلى مكتبة كبيرة مفتوحة.

فكرة جديدة لم يسبق أن قرأت ما يشبهها، تدفع القارئ إلى حب الكتاب والشغف بالقراءة. تقول كل هذا من خلال الفن وليس على حساب الفن، كما أننا أمام رسام فنان مبدع مجدد نتأمل الصفحات الأخيرة التى يسحرنا فيها برسم ورقة الشجر تتحول من حضين إلى رضيع إلى فتاة صغيرة، ثم سيدة شابة إلى سيدة عجوز، وهى فى كل أطوارها نفس ورقة الشجر، لا يغيب عن عينيك شكلها الذى يميزها.

استعان الفنان الرسام بأشكال الخط العربى عبقرية التكوين، لتصبح خلفية معظم صفحات الكتاب، فاستلهم أهم عناصر الفنون العربية العريقة، مبتعدًا عن أى استلهام من تراث الفن التشكيلى الغربى، فقدم إبداعًا غير مسبوق فى كتاب الطفل العربى، معتمدًا على تراث غنى للخطاطين والفنانين التشكيليين العرب الباحثين عن الأصالة والتميز.

كما قدم نموذجًا فذًّا للوحدة مع التنوع، فكانت خلفيات الخط العربى تأكيدًا لوحدة الكتاب، مع تصميم فيه إبداع لكل صفحتين متقابلتين، وتجديد لوضع كل سطر فى مقابل سطر آخر، بجواره أو تحته، ليتكون من النص مع رسوم التشكيل وخلفية الكتابات العربية وحدة متكاملة بين النص والرسوم.

ومع كَمٍّ هائل من التنوع فى مفردات رسوم كل صفحة، أشعرنا بإيقاع الشعر أو ألحان الموسيقى، فربط صفحات الكتاب (٤٨ صفحة) فى وحدة فنية تجذب عين القارئ وعقله، فيتنقل فى نشوة من صفحة إلى أخرى ومن فقرة إلى الفقرة التى تليها، ومن رسوم لا يكررها فى صفحة أخرى إلى رسوم مبتكرة جديدة حتى يصل بنا إلى العبارة التى بدأت بها بطلة القصة مذكراتها : "إلى الطير الذى يطرق نافذتى كل صباح".

إننا أمام نص يتكامل فيه الموضوع الذى يدور حول حب الكتاب وتنمية عادة القراءة، والشكل الذى جعل من الخط العربى عنصرًا جماليًّا أصيلاً فى رسم الكتاب، وهو فى نفس الوقت موضوع الكتاب الأساسى.

أما الطباعة والتجليد ودقة فصل الألوان، فقد تضافرت كلها لتقدم إطارًا متميزًا يضم أبدع الرؤى فى النص والرسوم، فى دعوة جمالية شديدة الجاذبية للقراءة وحب الكتاب.

كتاب "نزل الذرة الصفراء"

تأليف : أنس أبو رحمة

الناشر : الأهلية للنشر والتوزيع

وقد فاز بجائزة الملتقى لأفضل كتاب لمرحلة اليافعين، وبطل هذه القصة ليس النزل أو الخان أو الفندق الصغير الذى تديره أسرة "مينا" الصغيرة، وليس هو حقول الذرة التى حاول أصحاب المصالح إتلافها للوصول إلى الاستيلاء على الأرض، وهما العنصران اللذان أشار إليهما عنوان الرواية.

البطل الحقيقى الذى تدور حوله الأحداث، أو الذى تنعكس عليه الأحداث، هو الفتاة الصغيرة مينا، التى ترافقنا مع كراس مذكراتها منذ أول صفحة حتى آخر صفحة، ومعها صديقها الكلب "سوكى أبو ريالة" فى النزل، ينام فلا يوقظه دوى الرعد، والأسد العجوز المريض "سيسو" الذى ترعاه وحدها فى الغابة رعاية غامضة.

إنها رواية حول شخصية، تقدم ذكاء وإنسانية وخيال وإبداع فتاة صغيرة موهوبة، مع نموذج متميز للتفكير العلمى من خلال انشغالها الدائم بإجراء التجارب وتوقع النتائج.

كما تقدم قدرًا كبيرًا من خفة الظل فى إصرارها على إجراء تجاربها، فى مواجهة حيرة المدرسين حول أهمية هذه التجارب أو عدم جدواها.

كما تقدم الغموض الذى يحيط برعايتها للأسد العجوز الذى لم نرَه، وإن كنا نسمع عنه مرارًا من خلال دفتر مذكراتها، وتكتب عن رأسه الكبير الذى يشبه البطيخ، وتفضيله البطاطا المشوية على أى شىء، والذى تريد أن تجلب له أنثى من الهند بهدف تكاثر ذريته لتعيد سلالة الأسود إلى المنطقة.

هذه رواية لا تعتمد على الحبكة الروائية كما اعتدنا، وهى فى هذا تقترب من روايات ما بعد الحداثة. بل هى رواية شخصيات، تعطيها الحبكة البوليسية الاقتصادية الهامشية الفرصة لكى يظهر لنا، من خلال السرد، كل ما تحفل به الشخصيات من إمكانات ومشاعر إنسانية وقدرات فكرية وعلمية، وما تحفل به من حب للحيوان، فلا ننسى مينا وهى تبكى عندما يفكر والدها ووالدتها فى إبعاد الكلب "أبو ريالة" عن النزل وبيعه فى السوق، أو حزنها عندما مات البغل الذى يعتمدون عليه فى أعمال الحقل.

السرد يتم على لسان الرواى الصغير، أخو مينا، الذى لم يذهب إلى المدرسة الابتدائية لأنه يساعد العائلة على إدارة النزل فى قريتهم الصغيرة، حيث يستريح العابرون فى موسم التجارة.

يقول عن والدته إنها مديرة النزل تغنى لنا وللنزلاء أغنية الذرة الصفراء تنضج بين يدى العجوز الأعمى، فتكون ليلة مجنونة لا تشبه إلا مذاق كعكة الذرة بالشوكولا، التى تعدها بيديها فى ليالى الشتاء الباردة".

يتميز السرد بأسلوب يقترب كثيرًا من الشعر، يثير الخيال ويمتع الوجدان. السارد الفتى الذى بلغ السادسة عشرة، يحكى كيف أحب من أول نظرة يقول : "قدمت سيبال مع أبيها تاجر السروج.. انعكس ضوء عينيها البنيتين على حجارة الوادى، ورجع وسَكَن فى قلبى"... لم يرَها مرة أخرى على مدى بقية الرواية، مع ذلك هى حاضرة دومًا وبقوة. فعندما قضى ليلة فى غرفة برج المراقبة الصغير الذى أقامته القرية فوق شجرة السنديان لضبط عصابة المستثمرين وهم يرتكبون جريمة إتلاف محصول الذرة، يقول السارد : "فى الليل غاص الكل فى العتمة، خَرَجَت سيبال من بين الأغصان وجلست بجانبى، ظللنا نرقب الحقول المفتوحة حتى الصباح، ثم غفوت من التعب، ولما صحوت لم تكن معى".

وعندما جاء عصفور أسود بمنقار أصفر يضرب على زجاج نافذته، يقول السارد : "سألته : ماذا أحضرت لى من أشجار الليلة الفائتة؟ أجاب : حَوَّشت لك الندى بمنقارى، تغسل به عينيك... سألته : ماذا أحضرت لى من قمر الليلة الفائتة؟ أجاب : كان حَزًّا صغيرًا وحيدًا فى الجنوب، رأيت فيه قلب سيبال يضىء عتمة المجرة، اتخذته الطيور العابرة دليلاً لها".

كذلك يقدم النص لوحات متميزة مرسومة بالكلمات. ونعرف سر قدرة السارد على استحضارها عندما يذكر عن نفسه فى بدايات النص : "فى أوقات الفراغ، أرسم لوحات كبيرة بألوان مائية صنعتها لى مينا من مواد ونباتات مختلفة".

ولا يتردد فى تخصيص فصل من الرواية يرسم فيه بالكلمات لوحة القارئة الجميلة فى نزل الذرة الصفراء، يبدأ بوصفها : "من أسفل إلى أعلى : فردتا حذاء صغيرتان خمريتان، إبزيم فضى، قاعدة طاولة بنية"، ثم ينهى الرسم : "فم صغير كخط ماء على صخرة، أنف مثل حبة فراولة صغيرة، عينان تبرقان، شعر أصفر مجعد، ربطة شعر صفراء، حائط نزل الذرة الصفراء، قلبى بألوان لا تُرى".

وداخل نسيج السرد الذى يحمل القارئ على جناحيه، يُسَرِّب السارد دعوة شفافة، تحيطها الفكاهة أحيانًا، تدعو إلى حب الكتاب والبحث عن المعرفة عن طريق الكتب.

يقول السارد : "أحببت القراءة من مينا، ومن الكتب التى صارت تجلبها لى من مكتبة المدرسة... تضع بين يدى رواية جديدة استعارتها لى، أو أعطاها إياها سكرتير المدرسة من مكتبته الخاصة... يشترى السكرتير الكتب الجديدة دومًا من متاجر الكتب الكبيرة فى المدينة".

ويضيف : "فى الحقيقة، ما ربطنى بالقراءة أكثر هو دفتر مينا اعتدت التلصص عليه من وقت صادفته تحت سريرها".

أما المؤامرة على رزق الفلاحين، التى جعلها السارد خلفية لحكاياته عن الشخصيات والمكان، فإنه يذكر، بعد أن قدم الفلاحون شكاواهم إلى الشرطة، أن أحد المزارعين قال عن المستثمر المتآمر : "يقولون إنه رجل له احترامه، وهو صاحب مشاريع تدر أرباحًا هائلة على الدولة، ويجب أن يكون برفقتنا دليل حتى يصدقوا"!!

وفى موضع آخر يقول عنهم : "ربما هم الآن يفعلون ذلك فى أرض بعيدة، يقتلون نباتاتها ليجبروا الفلاحين على بيع أراضيهم، والرحيل إلى المدن".

إنها رواية تحتاج أن تقرأها مرتين، لتكشف لك عن كل أسرارها المتميزة، التى جعلتها مستحقة للجائزة.